الشّــر
وإلـه المحبـة

الشر وإله المحبة

تأليف: جون هيك

تعريب وتقديم وتعليق: عبد العاطي طلبة

مراجعة: عبد الجبار الرفاعي

مع تذييل يشتمل على قاموس لاهوتي فلسفي ومصطلحات ومفاهيم مفتاحية من وضع المُعَرِّب

ترجمةٌ حصريةٌ مأذونٌ بها من الناشرِ للكتاب المنشور بالإنجليزيةِ لُغتِه الأصلية:

Evil and the God of Love

By John Hick

الطبعة الأولى: يناير ـ كانون الثاني، 2026 (1000 نسخة)
بيروت ـ لبنان

مركز دراسات فلسفة الدين-بغداد
Philosophy of Religion Studies Center
بغداد ــ مجمع القادسية ــ بناية 19 ــ الدور الرابع ـ شقة 9
Email:qahtanee@gmail.com

توزيع دار الرافدين

بغداد ـ العراق/ شارع المتنبي

بيروت ـ لبنان، الحمرا/ شارع المقدسي

تلفون: 9647811005860+/9611345683+

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين
daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

ISBN: 978 - 9922 - 749 - 68 - 6

الشّــــر
وإلــه المحبــة

تأليف: جون هيك

تعريب وتقديم وتعليق: عبد العاطي طلبة

مراجعة: عبد الجبار الرفاعي

مع تذييل يشتمل على قاموس لاهوتي فلسفي ومصطلحات ومفاهيم مفتاحية من وضع المُعَرِّب

مركز دراسات فلسفة الدين-بغداد

الفهرس

إهداء 13

مُفْتَتَح: خَمْرِيَّاتٌ نَفْسَانِيَّةٌ وَمُعَاقَرَاتٌ عَقْلِيَّةٌ 15

1. بين يدي «الشرّ وإله المحبة» 15

2. جون هيك: بطاقةُ حياةٍ 21

أ. في حضرةِ رجلٍ مَفْطُورٍ على التفلسف 21

ب. بين «التعددية» و«تكميل النفس» 22

3. خِتَامُ مُتَوَسِّلٍ ورَجَاءٌ مُرْتَجًى 24

مراجع المُفْتَتَح 27

تصدير 29

مقدمة إعادة النشر (1985) 30

مقدمة إعادة النشر (2010) 33

مدخل: [مَسْح ضوئي للكتاب (1976)] 36

الاختصارات المستعملة في الهوامش 43

اختصارات أسفار الكتاب المقدس 45

(1) العهد القديم 45

(2) العهد الجديد 46

الجزء الأول I

تمهيد

الفصل الأول I : المشكلة ومصطلحاتها 49

1. تعريف بالمشكلة 49

2. مسألة جواز القول بثيوديسيا 52

3. أنواع الشر 59

الفصل الثاني II : قُطْبَا الفكر: الواحدية والثنائية 63
1. الواحدية والثنائية 63
2. واحدية سبينوزا الخالصة 65
3. نظرة معاصرة للشر على أنه وهم: العلم المسيحي 76
4. ثنائية أفلاطون 78
5. الثنائية الخارِجَة عند جاي. إس. مِل 83
6. الثنائية الباطنة عند إي. إس. برايتمان 86

الجزء الثاني II

النوع الثيوديسي الأوغسطيني

الفصل الثالث III:(1) القديس أوغسطين ينبوعًا: الشر كحرمان الخير ناجم عن حريةٍ يُساء استعمالُها 95
I. الشر كحرمان الخير 100
1. أوغسطين والمانوية 100
2. ثيوديسيا أفلوطين 103
3. خيريَّة الترتُّب المخلوق 109
4. الإنسان قابلٌ للتغيُّر لأنه «مصنوع من اللاشيء» 112
5. الشر: طفيلي وحرمان 113
6. ماهية الموجود والخير 116
7. الطابع المنطقي لاعتقاد أوغسطين 122
(2) القديس أوغسطين ينبوعًا 128
II أوغسطين و«دفاع الإرادة الحرة» 128
8. الخطيئة بوصفها أساسًا للشر 128
9. خلق الشرّ الذاتي «من العدم ex nihilo» 133
10. الخطيئة والتعيين السابق 135
الفصل الرابع IV : (2) القديس أوغسطين ينبوعًا 142
مبدأ الوفرة والمظهر الأستطيقي للعالم 142

III. مبدأ الوفرة 142
1. سَرْدُ المشكلة 142
2. الإجابة الأفلاطونية المحدثة عند أوغسطين 145
3. مبدأ الوفرة عند أفلوطين 149
4. الفيضُ والخلق 150
5. نمط الوجود السابق 153
IV. المظهر الجمالي (الأستطيقي) 158
6. المظهر الأستطيقي عند أوغسطين 158
7. ألم الحيوان في عالَم كامل 162
8. الجحيم ومبدأ التوازُن الأخلاقي 165
الفصل الخامس V :الفكر الكاثوليكي من أوغسطين وحتى الوقت الحاضر 169
1. ثيوديسيا أوغسطين مُستطرَدةً: هيو سانت ـ فِكْتُور 169
2. توما الأكويني: [استنساخ أوغسطين] 174
3. عرض تومويّ معاصر: تشارلز جورنيه 180
4. حول الخطيئة والجحيم عند جورنيه 190
الفصل السادس VI : مشكلة الشر في الفكر المُصْلَح 199
1. أوغسطين والمُصلِحون 199
I. كالفِن 204
2. السقوط والتعيين السابق عند كالفن 204
3. التعيين السابق والثيوديسيا: صورتان متضادتان 210
II. كارل بارت 217
4. البارتيَّة منهجًا 217
5. «الجانب الظليل» من الخلق 223
6. العَدَمُنَازِع [خصيمًا ومُسْتَلِبًا] 225
7. أصل العدمنازع: [بين «نعم» و«لا»] 228
8. رؤية نقدية: (أ) أصل العدمنازع 231
9. رؤية نقدية: (ب) حالة العدمنازع 233

الفصل السابع VII : «تفاؤل» القرن الثامن عشر 241
1. مَآلٌ للتقليد الأوغسيطيني 241
2. كينج و«أصل الشر»: [استطراد أوغسطيني آخر] 248
3. «ثيوديسيا» ليبنتز: [العالَم بين التماكُن واللاتماكُن] 255
4. [تحقيق مقالةِ:] «أفضل العوالم الممكنة» 264
5. «أفضل الممكن»: لأي غايةٍ؟ 271
الفصل الثامن VIII : فَصْلُ النور عن الظُّلمة 273
1. القَسَمَاتُ الرئيسة للنوع الثيوديسي الأوغسطيني 273
I. الموضوعات اللاهوتية 275
2. خيرية العالم المخلوق 275
3. معاناة الإنسان بوصفها عقابًا على الخطيئة 277
4. «يَا لَهَا مِنْ جَرِيمَةٍ مَيْمُونَةٍ...» وأبديّة العذاب وجهًا لوجهٍ 281
II. الموضوعات الفلسفية 285
5. الشر بصفته لاموجودًا 285
6. الشر الميتافيزيقي بصفته أصلًا 295
7. الكمال الأستطيقي للعالم 299
8. نقد أساس: [طريقةٌ لاشخصيةٌ] 301

الجزء الثالث III

النوع الثيوديسي الإيرنيوسي

الفصل التاسع IX : الخطيئة والسقوط وفقًا لآباءِ الهِلِّنِسْتيَّة 309
1. الأساسُ الكتابيّ لعقيدةِ السّقوط 309
2. من بولس حتى أوغسطين 318
3. إرهاصات وجهة النظر الهلنستيّة 323
4. إِيرِنْيُوس: [الإنسانُ بين «الصورة» «والشَّبَه»] 330
5. المسيحية الشرقية: [أصداءُ إيرنيوس] 339

الفصل العاشر X : النَّوعُ الإيرنيوسيّ عند شلايرماخر 344
1. شلايرماخر و«الكمال الأصلي» 345
2. تفسير الخطيئة عند شلايرماخر 348
3. العلاقة بين الخطيئة والمعاناة 353
4. الله بوصفه الآمرَ المطلقَ بالخطيئة والمعاناة 354
5. شلايرماخر والرؤية الوظيفية (الأداتيَّة) للشر 358
6. مبتدأ الإنسان ومُنتَهَاه 360
الفصل الحادي عشر XI : فصلُ المَقَالِ فيما بين الثيوديسيَّتَين من الانفصال والاتِّصال (التبايُنات والاتفاقات) 363
1. الافتراق بين نَوْعَي الثيوديسيا 363
2. نقاط التَّلاقي (الاتِّفَاق) المُستتِرة 365
مُلحقٌ بالفصل الحادي عشر: أَوْجُهُ الافتراق والاتِّفاق بين الثيوديسيَّتين مُلَخَّصَةً 368
1. أوجه الافتراق البائنة 368
2. أوجه التّلاقِي المُستَتِرة 369

الجزء الرابع IV

نحو ثيوديسيا معاصرة

الفصل الثاني عشر XII : المُنطَلَق 373
1. سلبية الثيوديسيا ووظيفيّتها 373
2. الميثولوجيا المسيحية وانبناء الثيوديسيا التقليدية عليها 376
3. ثيودسيا «وادي تكميل النفس» 385
الفصل الثالث عشر XIII : الشر الأخلاقي 396
1. هيئة الخطيئة 396
2. دفاعُ الإرادة الحرة التقليدي 399
3. النقد المتأخر لدفاع الإرادة الحرة 401
4. العلاقةُ الشخصيَّةُ بين الإلهيِّ والإنسانيِّ 405
5. الحرية كإبداعٍ محدودٍ 409

6. حتمية السقوط الفعليّة 413
7. الإنسان بوصفه موجودًا ساقطًا 415
مُلحق بالفصل الثالث عشر: «دفاع الإرادة الحرة» بين اللاهوت التقليدي ونظرية هيك: «الحرية كإبداعٍ محدودٍ» 430
1. الدفاع التّقليدي في مَرْمَى السِّهام 430
2. انتقادُ فلو ـ ماكي للدفاع في طوره الثالث 431
3. مُساءلةُ هيك مُساءلاتِ ماكي 432
4. القيد المسيحيّ: علاقةٌ بين مُنَوِّم وَمُنوَّم؟ 433
5. الحرية كإبداعٍ محدود: نحو حريةٍ مِعْرَافِيَّة 433
الفصل الرابع عشر XIV : الألم 435
1. بين الألم والمعاناة: [اتِّصالٌ وانفصالٌ] 435
2. الألم الجسديّ: [تسويغُه بالنهايات] 437
3. هل للألم قيمة بيولوجية؟ 442
4. الألم وبنية العالم 449
5. الألم الحيواني [كمعضلةٍ مُربِكَةٍ] 455
الفصل الخامس عشر XV : المعاناة 464
1. الوظيفة المعنوية للمعاناة 464
2. الألم بصفته علةً للمعاناة 466
3. جنةٌ لا معاناةَ فيها؟ 469
4. معاناة فاحشة أم ديستليوجية (لاغائيَّة)؟ 474
5. الجواب التقليدي: انحرافُ الطبيعة بفعل ملائكةٍ ساقطةٍ 478
6. تكميل النفس واللغز 481
ملحق بالفصل الخامس عشر: هيوم وملابساته الأربع أو شكاوى هيوم ضد العالم الطبيعي 485
الملابسة الأولى: اللذة والألم متساويان في التحفيز 485
الملابسة الثانية: القوانين الطبيعية ينبغي أن تُعدَّل 486
الملابسة الثالثة: الإنسان ضئيلُ القُوَى 486
الملابسة الرابعة: انعدام التناسُب أو التوازن 487

الفصل السادس عشر xvi : ملكوت الله والإرادة الإلهية 488
1. خيرُ المستقبلِ اللامُتناهي 488
2. الثيوديسيا والجحيم وجهًا لوجه 495
3. الحالة الوسيطة: [تقديسُ ما بعد الموت] 500
4. بَقَايَا مشكلات 507
5. مفارقة الشر الكتابية 511
6. مصدرية الشر في ثنائية الحياة المسيحية 520
7. الاستبانةُ الأُخرويَّة للشرِّ 526
مُلحقٌ بالفصل السادس عشر: بقايا مشكلات لا يمكن البَتُّ فيها 529
1. المشكلة الأولى: ندوبُ المعاناة لا تُمحَى 529
2. المشكلة الثانية: ضرورية الشرور 529
الفصل السابع عشر XVII : العمل المتأخر على مشكلة الشرّ 530
1. [الإمكان المنطقي عند بلانتنجا وبايك وابتعادُهما عن المشكلة الجوهرية] 531
2. [دفاعًا عن المقاربة الإيرنيوسية] 539
3. [المسألة الجوهرية الكُبرَى: الثمن المدفوع من أجل التنامي روحيًا وأخلاقيًا] 551
ملحق بالفصل السابع عشر: اعتراضاتٌ على ثيوديسيا هيك 555
(1) اعتراضات مادن وهير الخمس 555
(2) انتقادات كين الخمسة 555
تَذْييلٌ: قاموس لاهوتيّ فلسفي (مصطلحات ومفاهيم مِفتاحيَّة) 557
ثَبْتُ مَرَاجِعِ التَّرْجَمَة 634
كَشَّافُ أَعْلَامٍ وَمُصْطَلَحَاتٍ 659

إهداء

إلى الحبيبة والصديقة والقريبة سارة،
التي أَنْزَلَتْني من على صليبي،
ومَسَحَتْ عنِّي الدمَ والخوفَ والدموعَ.
لمَّا أحببتُها؛ انطفأ الشرُّ في عالَمِي.
بدونك يا حبيبتي، ما كان لخيرٍ أن يكون.

مُفْتَتَح

خَمْرِيَّاتٌ نَفْسَانِيَّةٌ وَمُعَاقَرَاتٌ عَقْلِيَّةٌ

1. بين يدي «الشرّ وإله المحبة»

بِــــاسْـــــمِ الــــلـــــهِ مُـــبْــدِئـــي   وَمِـــــنَ الـــعَــــدَمِ مُـــنْـــشِـئِــي[1]

ما فَتِئتُ أكره المقدماتِ ولا أُحِبها، وما من كتابٍ قرأتُه إلا وتجاوزتُ مقدماتِه قاصدًا صُلبَه ومتنَه. بعد القراءة لعلّي أعود إلى المقدمات ولعلي لا أعود؛ ذلك أني لا أحب قراءةَ أيّ عمل وأنا محكوم بمُسْبَقَاتٍ ومُصَادَراتٍ مُوجِّهَة مهما كان قَدْرُ صاحبها وشأنُه. ورغم هذا، أجدني اليوم مدفوعًا إلى كتابةِ مقدمةٍ لهذا الكتاب في حُلَّتِه العربية. ولقد هممتُ أن أدفعه إلى الناشر دون أن أكتب كلمةً في صَدْرِه، لكنّي وجدتُ لزامًا عليّ أن أخاطب القارئ بكلمةٍ أو كلمتينِ سريعتَينِ دون توجيهٍ أو توصيةٍ أو مصادرةٍ عليه.

لعلَّ *الشر وإله المحبة* *Evil and the God of Love* كان فكرةً في عقل عبد الجبار الرفاعي منذ زمن بعيدٍ؛[2] فكرةً عرفتُها من خلاله وهو بصدد إصدار أعدادٍ من مجلة *قضايا إسلامية معاصرة* محورها «مشكلة الشر».[3] أوعز إليّ الرفاعيُّ بمُطالعة الكتاب بادئ الأمر طالبًا منّي الرأيَ فيه. طالعتُ أول ما طالعتُ عنوانَه، والمُطالِع عنوانَه لعله يشعر أن الكتاب سيكون عملًا خفيفًا دون العُمق المطلوب. بدأتُ أصافحُ صفحاتِه بصفحةِ عينيّ، فوجدتُه سِفْرًا عميقًا وسَفَرًا طويلًا، وما خرجتُ منه كما ولجتُ فيه. أرسلتُ إلى الرفاعيّ أخبره إن عملَ هيك على مشكلة الشرّ عمَلٌ ليس مُهمًّا فحسب ولكنه مُؤسِّس ولا بد أن تزدان به المكتبةُ

(1) أحمد الهاشمي، *جواهر الإملاء: المفرد العلم في رسم القلم*. قدم له وضبط نصه: محمد التونجي (بيروت ـ لبنان: شركة دار مكتبة المعارف ـ ناشرون، ط2، 2017م)، ص 28. ذكره الهاشمي دون نسبةٍ، ولم أقف على القائل، ولعله من القول المشتهَر السَّارِي.

(2) أخبرني الرفاعي إنه يعرف هيك منذ زمن بعيدٍ، وأنه تعرف عليه من خلال مطالعاته باللغة الفارسية.

(3) تناولت المجلة «مشكلة الشر» في أربعة أعداد متتالية: 73 ـ 74 (2020م)، 75 ـ 76 (2021م)، 77 ـ 78 (2022م)، 79 ـ 80 (2024م).

العربيةُ بترجمةٍ تليق به مَقَامًا. طلبتُ منه أن يبادر مركزُ دراسات فلسفة الدين بالتواصل مع الدار الأجنبية الناشرة (Palgrave Macmillan London) لشراءِ حقوق ترجمته إلى العربية.[1] لم يمرّ كثيرُ وقتٍ إلا وفوجئتُ بالأستاذِ يخبرني بالتواصل مع الدار الناشرة وشراء حقوق الترجمة، وأنه يريد مني أن أخوض عملية تعريبِه! أخبرتُه: سأنظر فيه مرةً أخرى بعين المريد ترجمتَه لا بعين القارئ المُتجَرِّد.

وبالفعل، طالعتُه من جديدٍ مرتين: مرةً بعَينِ القلبِ، ومرةً أخرى بعَيْنِ العَقْلِ. خرجتُ من **المطالعةِ القلبية** بأنّ هيك صاحبُ فلسفةٍ صوفيةٍ ترى الإنسانَ ذا نسبةٍ إلهية، موجودًا في العالَم على مسافةٍ من اللهِ ليستْ بالحيِّزيَّةِ أو المكانيةِ وإنما بالمعرفية (الإبستمية)؛ لعلَّه يتمكن من التعرف على الإلهيّ المُحتَجِب بجنباتِ عالَمٍ يُعَد بيئةً مناسبةً لترقِّيه أخلاقيًّا وجماليًّا وروحيًّا. عندما طالعتُه بهذه العَين القلبيَّة، رأيتُ أن هيك لا يعالج الشر من خارج أو من منظور فلسفي أو لاهوتي فحسب، وإنما يعالجه أيضًا من منظور شخصيٍّ مُشْتَبِكٍ، وكأنها مشكلته الخاصَّة، وكأنه صاحبُ المعاناة، وكأنّ الشر كان بالنسبة إليه مشكلةً ذاتيَّةً أكثر منها موضوعية أو فلسفية أو لاهوتية. ولا غروَ فهو القائل: «جربتُ بنفسي بعضًا من المأساةِ الشخصيَّة العميقةِ والمُبْتَلِعَة، التي جَرَفَتْنِي إلى اليأس القاتِمِ ورفضِ الحياةِ المُرَوِّع.»[2] وجدتُ أيضًا أن هيك رجلٌ تنازعه نفسُه بين الأدبِ من ناحيةٍ، والفلسفةِ واللاهوتِ من ناحية أخرى. هذا ظاهر في اقتباساته عن أدباء وشعراء كُثُر، ففي الكتاب نَقْلٌ عن شكسبير Shakespeare، وعمر خيام Omar Khayyam، وألكسندر بوب Alexander Pope، ودوستويفسكي Dostoevsky، وإمرسون Emerson، وسي. إس. لويس[3] C. S. Lewis، وغيرهم. وكأنَّ اللغةَ الفلسفيَّةَ ما أسعفتْه، واللغةَ اللاهوتيةَ ما أعانته، فتوسَّل لغةَ الأدب وارْتَجَاهَا. لغةُ هيك نفسُها لغةٌ تلتبس بالشعرِ تارةً، وباللاهوتِ تارةً، وبالفلسفة تارةً أخرى، لكنَّ الرباط اللغوي الذي ينتظمُ الكتابَ كلَّه وَشيجَةٌ من الكلامِ العالي واللغةِ الشَّاعِرةِ. هذا الأمر كاشفٌ عن روحِه

(1) كان هذا مستهل عام 2020 على التقريب.

(2) John Hick, *Evil and the God of Love* (London: Palgrave Macmillan, 5th ed., 2010), p. 386.

(3) تنوعت اهتمامات سي. إس. لويس (1898 ـ 1963) بين الفلسفة والأديان والأدب، وكان يتناول الأفكار اللاهوتية والفلسفية بلغة أدبية شاعرة. ومن ذلك تناوله الألمَ كمشكلةٍ في *مشكلة الألم* *The Problem of Pain* (1940)، والحزنَ والتفجُّعَ في *لِحَاظُ الأَسَى* *A Grief Observed* (1961) الذي كتبه تأثُّرًا بوفاة زوجته جوي ديفيدمان Joy Davidman ووصفًا لتجربته الحزينة مع وفاتها. ورغم اختلاف هيك مع كثيرٍ مما يطرحه لويس إلا أنه يبدو معجبًا بتناوله الأدبي الشاعر للمشكلات التي ينظر فيها.

النابضة بالإلهيّ والجماليّ؛ ناطقٌ عن الأديب المُخْتَبِئِ في عباءَةِ الفيلسوف العقلاني العتيد، واللاهوتي طويل النَّفَسِ والفكرة:

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي الخَمْرِ مَعْنىً لَيْسَ فِي العِنَبِ[1]

أما **المطالعة العقلية**، فخرجتُ منها بأنّ هيك فيلسوفٌ من النوع التوفيقيّ الذي يجمع بين المدارس والأفكار في وَحْدَةٍ فكرية، ويصالح فيما بينها ويُوفِّق وإنْ تَنَابَذَتْ؛ محاوَلَةً للخروجِ الصَّاعِدِ إلى عالَم فكري ونَسَقِيّ جديد ومُبتَدَع. إليك بعضًا من بيانٍ. أولًا: يحاول هيك التوفيق الوجوديّ بين جوانب ثلاثةٍ من الوجود: الوجود الإلهي المتصف بالمحبة، الوجود الشرير المتصف بالرُّعب، الوجود الإنساني الموضوع في بيئةٍ مناسبةٍ هي العالَم. يعالج كُلًّا وهو يضع المحبةَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ بوصفها الصفةَ الإلهيَّةَ الأُمَّ، فهو لا يُضحِّي بها أبدًا. وبغضّ النظر عن نجاح هيك في التوفيق بين هذه الأفكار الثلاث بضوء المحبة؛ إلا أنَّ الأكيدَ نجاحُه في تقديم محاولةٍ فلسفيةٍ إيجابيةٍ بنَّاءةً تَقِي الإنسانَ ـ بوصف وجوده المركزي في العالَم ـ من الوقوع في الاغتراب الذاتي عن نفسه، والاغتراب عن الله (يسميه الرفاعي: «الاغتراب الميتافيزيقي»[2]).[3] ثانيًا: يجول هيك بأنظاره في التقاليد الفلسفية المختلفة التي تتناول المشكلة محلّ النظر، فيتناول إياها بالتحليل الفلسفي تارةً، وبالتحليل التاريخي تارةً، وبالتحليل اللاهوتي تارةً أخرى، ومن ثم يقارنُ فيما بينها من أجل تحديد العناصر المرفوضة

---

(1) أبو الطيب المتنبي، *ديوان المتنبي* (القاهرة ـ مصر: القدس للنشر والتوزيع، بدون تاريخ)، ص 328. البيتُ المذكور من قصيدةٍ مطلعُها: «يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِ...».

(2) يعني الرفاعي بالاغتراب الميتافيزيقي أنَّ «الإنسانَ هو الكائنُ الوحيدُ في العالم الذي لا يكتفي بوجودِ ذاته، فيشعر على الدوام بافتقارِه إلى ما يُثْرِي وجودَه، لذلك لا يكفّ عن الاتصال بمنبعٍ مطلقٍ للوجود، يتكرس به وجودُه الشخصيّ، ويظل يعمل كل حياته على توسعة وجوده وإغنائه، من خلال السعي للعثور على ذلك المنبع اللامحدود للوجود، فإن عجز عن الاتصال عاش حالةَ ضياع واغتراب وجودي.» (عبد الجبار الرفاعي، *الدين والاغتراب الميتافيزيقي*. بغداد ـ العراق: مركز دراسات فلسفة الدين؛ بيروت ـ لبنان: دار الرفدين. ط3، 2022، ص 78.)

(3) وهيك في معالجته للشرّ ينطلق من رؤيةٍ هي حاجة الإنسان الوجودية للتعرف على الإلهي المتعالي، وإلا وقع في مأساةِ الاغتراب، ويرى للثيوديسيا وظيفة سلبية لا إيجابية، فهي لا تبتني الإيمانَ وتُوجِده وإنما تُثَبِّته عند المؤمن وتُعزِّزه، وتُظهر له أن الإيمانَ بالله المُحِب لا يزال ممكنًا وإنْ وُجِدَ الشرُّ في العالَم. الثيوديسيا، بهذا المعنى تنفي عن الإنسان إمكانَ الوقوع في الاغتراب عن الله إذا تعرقل إيمانُه بمشكلة الشر. وبذلك ينفي الإنسانُ عن ذاتِه كل أنواع الاغتراب بالإيمان الثابت والاعتقاد المستقرّ. يرى هيك «أن البشر يتجاوبون مع الحياة والكون بكيفيةٍ دينية. ذلك أن العالَم يدفعنا تُجاهَ شيءٍ مُتعالٍ يسمو فوق العالَم. ولا شيءَ في العالَم يمكنه إشباع هذا الشوق والاحتياج. ووجود إلهٍ هو أفضل تفسير منطقيّ لوجود هذا الشوق والاحتياج.» (هاني حنا، *فلسفة الدين المسيحي*. منصورية ـ لبنان: دار منهل الحياة، ط1، 2023، ص 127.)

والمقبولة لديه، ومن ثم الخروج ببناءٍ أو نَسَق فلسفي لاهوتي جديد يحاول الاستفادةَ من كلٍّ.[1] كم كان يروقني الرجل وهو يؤلِّف بين المدارس والأفكار المتخالفة ويجمع بينها بعين الواصف والمُحَلِّل والمؤرِّخ، وبوصف الرجل المُحِبِّ أيضًا؛ حتى إنه لَيقع في نفسك أحيانًا أنه يدافع عن جميعها، وأنه يتبناها دفعةً واحدةً! «قوة النسق الذي أتى به هيك يتأتَّى من إصراره على فهم الموقف قبل مهاجمته...»[2]

وعلى هذا، يمكن القولُ روايةً عن العَيْنِ العقليَّةِ: «الشر وإله المحبة» كتابٌ تشتمله أجزاءٌ أربعة يأخذ بعضُها برقاب بعض. يحاول هيك في **الجزء الأول** التعريفَ بمشكلته والتمهيدَ لها، وفي **الثاني** التعريفَ بالمدرسة التي يرفض معظمَ أفكارها وأقوالها، وفي **الثالث** التعريفَ بالمدرسة التي يقبل معظم أفكارها وأقوالها، وفي **الرابع** ابتناءَ نَسَق فلسفي ولاهوتي جديدٍ يخصّه حول المشكلة من خلال تطوير ما يقبله من رؤى وبيان عَوَار ما لا يَقْبَل. الكتابُ، بناءً على هذا التقسيم، مرجعٌ أساسٌ معياريّ ومفيدٌ حول التقاليد والفلسفات التي يعرض لها، ومحاولةٌ فلسفيةٌ لاهوتيَّةٌ جادَّةٌ لفهم مُشْكِلَةِ الشرِّ والتوفيق بينها وبين الوجودِ الإلهيِّ المُحِبّ. على هذا، يمكن إدراكُ أن الرجلَ لم يكن يرى نفسه يضرب في عَمَاء، وإنما كان يرى نفسَه يواصِل تقليدًا ومذهبًا، أو فكرةً ورأيًا، أو وِجْدَانًا ورؤيةً؛ وأنه يَنْفُثُ في رُوعِه نَفَثاتِ فلسفةٍ خالديَّةٍ تعبر عن مشتركاتٍ إنسانيةٍ فلسفيَّةٍ «بحيث قد يَعْسُر... أن يُحدَّد القِسْطُ الذي أَسْهَمَ به كلُّ مفكرٍ في التكوين... ومن هنا، فإنَّ أصداء «حكمةٍ خالديةٍ Philosophia perennis» لا بد أن تتردد في كل ما يجري على أقلام مُفكِّري العصر، حتى ولو بدتْ لهم أفكارُهم جديدة كل الجدة، أصيلةً أصالة مطلقة!»[3]

تهيَّبتُ هيك وكتابه بادئ أمري، فترددتُ؛ أقدِّم رِجلًا وأُؤخِّر أخرى، ووقع التأخيرُ مني في الردِّ على الرفاعيّ، فوجدتُه يسألني. أخبرتُه بما وقع في نفسي من هيبةٍ وإجلالٍ وخوفٍ. حفَّزني بكلماتٍ دافعة، وهمس بلسان قَلْبِهِ في دَخِيلَةِ نَفْسِي، فَأَوْقَدَ داخلي جذوةً أشعلت العقلَ والقلب معًا وقوَّتْ إرادَتي. هممتُ بعونٍ من اللهِ فيه، وما بدأتُه إلا وانغمستُ فيه عن

(1) ولهذا، رأيتُ أن المنهجية الأساسية التي يستعملها هيك في كتابه هي «المنهجية المقارنة»، وإن كان لا ينفك عن استعمال منهجيات أخرى عديدة في مواضع متعددة على مدار الكتاب. (لمزيد مطالعة حول استعمال هيك للمنهجية المقارنة، انظر: عبد العاطي طلبة، «منهجية المقارنة في معالجة جون هيك لمشكلة الشر وتطبيقاتها العملية ـ بحث مُحكَّم، مراجعة: وفاء عبد الحليم. مؤمنون *بلا حدود*. 24/ 3/ 2025، [https://2u.pw/NKb2u] «مُسْتَرْجَع بتاريخ: 2/ 4/ 2025»).

(2) Hick, *Evil and the God of Love*, op. cit., p. xvii.

(3) زكريا إبراهيم، *تأملات وجودية* (بيروت ـ لبنان: منشورات دار الآداب، ط1، 1962)، بتصرف، ص 7 ـ 8.

آخري، وانطمرتُ به. لا أريد أن أثقل القارئ هنا بما لاقيتُه من مشقَّات الترجمة والوصول إلى بعض المراجع، فلعلّ لهذا مقامًا آخر وحديثًا جديدًا ذا شجون. ومع ذلك، لعلك تدرك هَوْلَ الجهد المبذول على مدار الكتاب كلِّه، وثِقَل العمل الذي عملتُه فيه وأجريتُه عليه من تعليقٍ وبيانٍ؛[1] درجة أني في مرحلةٍ من مراحل الترجمة كدتُ أتخلَّى عن فكرة ترجمة جميعِه وأن أُشْرِك معي فيه غيري. عَدَلْتُ عن هذا أخيرًا، فما ألقيتُ عنه عصا ترحالِي إلا وهو في حُلَّةٍ عربيةٍ كاملةٍ. حَدَثَ هذا بترغيبٍ وتحريضٍ وتقويةٍ من أغيارٍ آزروني إما بالقولِ وإما بالعمل وإما ببذل النّصيحة؛ وأنا لكلٍّ شاكر، وللجميع مُمْتَنّ. الرجاء، والإيمان، والمحبة، ومعانٍ أخرى كثيرة تعلمتُها وعاينتُها في رحلتي مع هذا الكتاب، إلا أنَّ اللهَ: النزوع إليه، التعرف عليه، تكميل النفس به، كان المَغْنَمَ الأكبرَ والمعنى الأَجَلّ. تصوَّفتُ بالمطالعتين المذكورتين آنفًا (القلبية والعقلية) وتحقَّقتُ بالترجمة التي هي ضَرْبٌ من التأويل والفهم والاستنطاق والتفسير والإعراب، وما تحققتُ إلا وثملتُ بالمحبة الإلهية المُضَحِّية غير المحدودة، وعاقرتُ الأفكارَ وعاقرتْني. صِرْتُ صيرورةً أخرى، فما أنا بالذي كنتُ: تعالَيْتُ بذاتي على ذاتي، وركبتُ النفسَ إلى النفسِ، وارتحلتُ عن أَثَرَةِ أَنَايَ الضيِّقةِ إلى إِيثَارِ الأَنَا الكُلِّيَّة الشاملة. ما كنتُ إلا وكُنْتُ كينونةً وجوديةً ذاتَ طورٍ جديد، بل قُلْ أطوارًا: أكثر حُبًّا للمُتَعَالِي والمُتسافِل على حد سواء، أكثر تشوّقًا لتحرير الذات وكسر أصنام النفس المُستعبِدَة؛ ما صرتُ أَمَةً لأصنامي، بل مُتَعَبِّدًا في محرابِ الحقيقة، طُوَيْلِبًا للإلهيّ الذي ما توقفتُ عن البحث عنه حياتي كلَّها:

عَلِّلُوا رُوحِي بِأَرْوَاحِ الصَّبَا فَبِرِيَّاهَا يَعُودُ المَيْتُ حَيّ[2]

انتهى العملُ على هذا الكتاب ليلة الجمعة الموافقة الثامن والعشرين من يونيو في العام الرابع والعشرين من الألفية الثالثة. استغرق التعريبُ مدة عامين تقريبًا تخللهما جهد حثيث من الدراسة والبحث والتفتيش، ومقاساة آلام الكتابة ومعاناة استنطاق النصّ وتعريبه.[3] ولا

---

(1) أَخْوَفُ ما أخاف أن أكون قد أرهقتُ الكتابَ ومطالعَه بالهوامش والتعليقات، إلا أن العذرَ على هذا مبسوط ومُرتَجىً، فما كتبتُ كلمةً في الهامشِ إلا ورأيتُ فيها نفعًا ومزيدَ إيضاح.

(2) عمر ابن الفارض، *ديوان ابن الفارض* (بيروت ـ لبنان: دار صادر، بدون تاريخ)، ص 21. من قصيدةٍ مطلعها: سَائِقَ الأَظْعَانِ يَطْوِي البَيْدَ طَيّ...

(3) راجعتُ الكتاب بعد تعريبه ستّ مرات. في **المرة الأولى**، قابلتُ النصَّ العربي على النص الإنجليزي حرفًا حرفًا، وكلمة كلمةً، وجملةً جملةً، وفقرةً فقرةً. وفي **المرة الثانية**، راجعتُه بعين اللغويّ المُتفحِّص تدقيقًا له، وإصلاحًا لأخطائه من جهة اللغة. وفي **المرة الثالثة**، راجعتُه بعين المُوحِّد الذي يريد توحيد مصطلحاته ومفاهيمه ليَخْرَج وَحْدَةً كليَّةً مُتَّسِقَة. وفي **المرة الرابعة**، راجعتُه بإرادةِ وضع قاموس فلسفي لاهوتي نهايتَه لعله يُعين المُطالِع ويُقرِّب الأفهام. وفي **المرة الخامسة**، راجعتُه بنية التعليق عليه، وشرح ما غمض منه،

أذكر حقًّا عدد المرات التي أعلنت فيها فشلي وإخفاقي أمام نفسي وغيري، واستسلامي لليأس والقصور في وقتي وهمتي، ولا سيما أنّ زماننا يُكثِّف على إنسانه مشاغله وشواغله في تكاثر وتواتر مُضنٍ مُمَزِّق، ويكتنفه بالتشظِّي والتصدُّع؛ لكنني بقوىً روحيةٍ وحسِّيَّةٍ، ومَددٍ باطنيٍّ وخارجيٍّ أكملتُه، وكمَّلتُ في نفسي عنصرَي المثابرة والصمود. حسبي أني ما تنكّرتُ يوم أنكرتُ، وما أسلمتُ قيادي، فقهرتُ الموانعَ والصّوارف، وأمضيتُ للتمام تمامَه، وللتطواف استقرارَه. ولا أرجو، حقيقةً، من هذا العمل شيئًا سوى أن تَنْفَلِجَ به عقولُ الناطقين بالعربية وتَتَفَتَّح ـ أخصّ المسلمين قبل المسيحيين واليهود، فغير المؤمنين قبل المؤمنين، فأصحاب كلّ ديانة قبل غيرهم ـ على طرقٍ ممكنةٍ من التأويل الرحماني للنصّ المقدس، والفهم الدينيّ الرحيب لله كما تفتَّقتْ في عقل وروح هذا اللاهوتي المعاصر العظيم. والله المستعان، وعليه التّكلان، ولا توفيق إلا به، وليس لي لغيره حاجةٌ ولا مذهب. الله، الله، الله! «بِهِ وُجِدتُ، وبه عُرِفتُ، وبه حَيِيتُ، وبه سَعِدتُ، وبه عَقَلْتُ، وبه رَشِدتُ، وبه أُكرِمتُ، وبه أُعطيتُ، وبه حُرِمتُ، وبه شُهِرتُ، وبه سُرِرتُ، وإليه نُسِبتُ، وإليه انتهيتُ، وإليه سَعَيْتُ، وإليه اشْتَقْتُ، وإليه سلكتُ، وعليه توكَّلْتُ، وعليه تَولَّهتُ.»[1]

أَيَّتُهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ اذْهَبِي ... فَمَا لِقَلْبِيَ عَنْهُ مِنْ مَذْهَبِ

...

أَنْسَانِيَ التَّوْبَةَ مِنْ حُبِّهِ ... طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ المَغْرِبِ[2]

واستطرادًا فيه، وتلخيص بعض أجزائه، ووضع ثَبْتٍ بالمراجع التي رجعتُ إليها أو استأنستُ بها سواء في عملية الترجمة أو التعليق. وفي **المرة السادسة**، راجعتُه إرضاءً للضمير وتهدئةً للنفس وسعيًا محمومًا وراء كمالٍ ليسَ بمُدْرَكٍ، وذلك قبل دفعه إلى الناشر. استغرقت عمليةُ المراجعة ما يقارب عامَين إضافةً إلى عامَي تعريبه، ليكون مجموعُ العمل على هذا الكتاب مدةَ أربع سنواتٍ تقريبًا. انتهى الكتابُ ولم تنتهِ النفسُ منه. دفعتُه إلى النشر دفعًا على مضض! ومن طريف القول إنّ زوجي كانت تتهدَّدني: لو لم ترسله هذه المرة إلى الناشر، سأرسله بنفسي رغمًا عنك.

(1) أبو حيان التوحيدي، *الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية*. تحقيق: عبد الرحمن بدوي (القاهرة ـ مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996)، رسالة: و، ص 83.

(2) ابن زيدون، *ديوان ابن زيدون*. شرح: يوسف فرحات (بيروت ـ لبنان: دار الكتاب العربي، ط2، 1994)، ص 51.

2. جون هيك: بطاقةُ حياةٍ

أ. في حضرةِ رجلٍ مَفْطُورٍ على التفلسف[1]

وُلِد جون هيك (1922 ـ 2012) في عائلةٍ مسيحيةٍ محافظةٍ في مدينة سكاربورو Scarborough الإنجليزية. قضى طفولتَه المبكرة في مستوىً متوسط الحال سرعان ما تحول إلى معيشةٍ ضنكةٍ بعد كارثة مالية حلَّتْ بالعائلة عام 1939. بدأ هيك سنواته الدراسية في مدرسة ليسفين Lisvane الابتدائية، لكنه ترك الدراسة فيها بعد سنوات وصفها بالمُريعة في مذكراته، لينتقل بعدها للدراسة المنزلية مع أخيه الذي كان يكبره بسنتين من قِبَلِ مُعلِّمٍ كان يواظب على تدريسهما، وفي الخامسة عشر انتقل هيك إلى مدرسة بوتهام Bootham في يورك York مدة عامَين، حيث بدأ في تلك المرحلة بقراءة كلاسيكيات فلسفية. بدأ هيك اهتمامه بالفلسفة في سن الشباب من خلال القراءةِ لفلاسفةٍ كبار أمثال: نيتشه Nietzsche، وليبنتز Leibniz، وشوبنهاور Schopenhauer، ومِلْ Mill، وفرويد Freud، ورَسِّل Russell، وغيرهم. حينها أدرك أنَّ ميلًا كبيرًا قد نشأ داخله نحو الفلسفة، وأنه فيلسوف مفطور على التَّفَلْسُف. يقول: «**الفلاسفة الحقيقيون... يُولَدون ولا يُصنَعُون؛ أعتقد أني وُلِدتُ فيلسوفًا.**»[2]

التحق هيك بكلية الحقوق في جامعة هُلْ Hull ليكون محاميًا كوالده وجدِّه، وتخرج فيها، ليعمل من بعدُ في مكتب والده موظفًا مع بقاء شغفه بالفلسفة. ويبدو أن هيك لم يتخلّ عن مهنة المحاماة تمامًا، لكنَّه نقلها من ساحات القضاء إلى سياقات اللاهوت والفلسفة وساحاتهما. يظهر هذا جليًّا في مواضع كثيرة من كتابنا هذا حيث يخلع على نفسه زِيَّ المحامي، فيدافع ويهاجم، ويَذُود ويُغِير. على كل، بدأتْ علاماتُ التدين الفلسفي تظهر في هيك وسلوكه نتيجة تأثُّره بوالدته وجدته، فآمن بوجود حقيقة كونية إلهية خفية موجودة خارج الحواس والإدراك. بدأ تحول هيك إلى المسيحية الإنجيلية Evangelicalism في الثامنة عشر من عمره، وذلك أثناء دراسته القانونَ في جامعة هُلْ. دخل في تجربة روحية كان مصدرُها شخصيةَ السيد المسيح الذي تعرف عليه من خلال العهد الجديد. استمرت التجربةُ معه أيامًا عدة أحدثتْ داخله فيما بعد ثورةً جوانيةً في أعماقه الباطنة؛ كانت سببًا

---

(1) أفدتُ جُلَّ هذا التعريفِ المختصرِ بالمؤلِّف من أنمار محمد، «الفيلسوف جون هيك: حياته وأهم أفكاره اللاهوتية ـ عرض وتحليل»، *مجلة كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية*. عدد: 1، 2020م، ص 326 ـ 354.

(2) John Hick, *An Autobiography* (Oxford: One World Publications, 2002), ‘Student at Edinburgh and Oxford’, p. 70.

في إدخاله عالمَ الإيمان المسيحي. تلك التجربة حوَّلت بوصلة حياته بالكامل من دراسة الحقوق إلى دراسة اللاهوت والخدمة المسيحية. ولهذا، دَرَسَ اللاهوت في كلية وستمنستر Westminster College للكهنوت بجامعة كامبريدج Cambridge مدةَ ثلاث سنوات، إلا أنه ما لبث أن شعر بأنَّ تدينه لم يحقق له الإشباعَ الروحيَّ المطلوبَ الذي كان يتوق إليه. بعد إكماله الدراسة الجامعية، عُيِّن في الكنيسة المشيخية قسيسًا عام 1953، ثم عمل أستاذًا مساعدًا في معهد برينستون Princeton للدراسات اللاهوتية، ثم انتقل إلى قسم اللاهوت في جامعة برمنجهام Birmingham عام 1967. تولَّى هيك عام 1979 كرسي دانفورث Danforth لمادة فلسفة الدين في مدرسة الدراسات العليا في كليرمونت Clermont الأمريكية، واستمر في منصبه هذا حتى عام 1992. تقاعد بعد هذا التاريخ، إلا أنه استمر في العمل في تلك المدرسة كأستاذ فخري حتى وفاته.

لم يتوقف هيك على مدار حياته عن التأليف والكتابة وإلقاء المحاضرات. من أهم مؤلفاته: (الإيمان والمعرفة Faith and Knowledge)، (فلسفة الدين Philosophy of Religion)، (وجود الله: من أفلاطون إلى آي. جاي. آير حول سؤال «هل الله موجود؟» The Existence of God: From Plato to A. J. Ayer on the Question ‘Does God Exist?’)، (الله وعالَم المعتقدات God and the universe of faiths)، (الموت والحياة الأبدية Death and Eternal Life)، (تَجسُّد الإله كَمَجَازٍ: الكرستولوجيا في عصر تَعَدُّدِيّ The metaphor of God incarnate: Christology in a Pluralistic Age)، (اللهُ الكَثِيرُ بأسمائِه: التعددية الدينية في بريطانيا God has many names: Britain’s New Religious Pluralism)، (مشكلات التعددية الدينية Problems of religious pluralism)، (المسيحية والأديان الأخرى: قراءات مختارة Christianity and Other Religions: Selected Readings)، (تفسيرٌ للدين: استجاباتٌ إنسانيةٌ للمُتَعَالِي An Interpretation of Religion: Human Responses to the Transcendent)، (المسيحية الثانية The Second Christianity)، (سيرة ذاتية An Autobiography)، (بين الشك والإيمان: محاورات حول الدين والعقل Between Faith and Doubt: Dialogues on Religion and Reason)، وغير ذلك من مؤلفاتٍ أثرتْ مكتبة اللاهوت وفلسفة الدين.

ب. بين «التعددية» و«تكميل النفس»

إذا انتقلنا إلى عالَم هيك الفكري، فيمكن القولُ إنه صاحبُ رؤىً عديدةٍ في اللاهوت والفلسفة الدينية؛ نخص منها بالذكر في هذا التعريف المختصر فكرتين أو نظريَّتين

هما: «التعددية الدينية»، و«ثيوديسيا تكميل النفس». تقول «التعددية الدينية Religious Pluralism»[1] بمركزية وجود الله في الكون، ورفض فكرة أن خلاص البشرية لا يتحقق إلا بديانةٍ واحدةٍ مهما كانت، فما الأديان العالمية، فيما يرى، إلا استجابات متنوعة لحقيقة واحدةٍ هي الحقيقة الإلهية.[2] بناءً على هذا، يقول هيك بِنِسْبِيَّةِ الحقيقة الدينية وأنها متفرقة بين الأديان العالمية الكثيرة ومتوزعة فيها، فـ«جميع الأديان تؤدِّي إلى الإله نفسِه. والطريق إلى الله متاحٌ على العموم من خلال جميع التقاليد الدينية [الكثيرة]»[3]. يُعَلِّق هيك على قولِ جلال الدين الرومي: «المصابيح كثيرة، ولكنّ الضوءَ واحد» مُبِينًا عن موقفه التَّعَدُّدِيّ: «هذه طريقة حَسَنَةٌ للتعبير عن وجهة نظر التَّعَدُّدِيَّة. هناك ضوء واحد فقط، يُضيء العديدَ من المصابيح، وتلك المصابيح هي الأديان. يؤكد العديدُ من المتدينين من كل دين وجودَ واقع مُطْلَق ومتعالٍ، يُطلَق عليه بلغتنا الإنجليزية «الله God». الله «واقع مُطْلَق Ultimate Reality»... المسيحية واحدةٌ من سُبُلٍ صحيحةٍ تمامًا وقَيِّمَةٍ للغاية للوصولِ إلى المطلق، إلى الله، لكنها ليست الوحيدةَ.»[4]

---

(1) جدير بالذكر أن «التعددية الدينية» صار لها أنصار ومنظرون مسلمون. من أهم مُنظِّريها والقائلين بها عبدُ الكريم سروش في *الصراطات المستقيمة*. تعني التعددية الدينية (البلورالية)، كما يعرفها سروش، باختصار: «الاعتراف برسمية التعدد والتنوع في الثقافات والأديان واللغات والتجارب البشرية... وتبحث في مجالين مهمين: في مجال الأديان والثقافات، وفي المجال الاجتماعي... كما أنه يوجد بين المجالَين ارتباط وثيق، بمعنى أن الأشخاص الذين يقولون بالتعددية على المستوى الثقافي والديني، لا يمكنهم التنكر لمقولة التعددية الاجتماعية.» (عبد الكريم سروش، *الصراطات المستقيمة ـ قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية*. ترجمة: أحمد القبانجي. بيروت ـ لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2009، بتصرف، ص 15.)

(2) لمزيد مطالعةٍ حول مفهوم «التعددية الدينية» ومنطلقاتها المعرفية واللاهوتية عند جون هيك، انظر: وجيه قانصو، *التعددية الدينية في فلسفة جون هيك ـ المرتكزات المعرفية واللاهوتية* (بيروت ـ لبنان: المركز الثقافي العربي؛ بيروت ـ لبنان: الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، ط1، 2007). (لمطالعةِ عرضٍ نقديٍّ مُختصَر للتعددية الدينية عند جون هيك انظر: بول إي. كريساك، *نقد التعددية الدينية عند جون هيك*، ترجمة: فراس سلوادى. إشراف وتقديم: سعيد فودة. عَمَّان ـ الأردن: دار الأَصْلَيْنِ للدراسات والنشر، ط1، 2017.)

(3) إليستر إي. ماجراث، *اللاهوت التاريخي: مقدمة لتاريخ الفكر المسيحي* (منصورية ـ لبنان: دار منهل الحياة، ط1، 2022)، بتصرف، ص 494.

(4) جَسْتِن بريرلي Brierley Justin، «مقابلة جون هيك John Hick وكريس سينكينسون Chris Sinkinson: حقيقة واحدة أم عدة حقائق؟». ترجمة: آلاء فوزي النجار، (*مؤمنون بلا حدود*). بتصرف يسير، 29/ 2/ 2020، [مُسْتَرجَع من https://2u.pw/GdfJf] (تاريخ المطالعة: 26/ 4/ 2025). يرى هيكُ الأديانَ تجلياتٍ متعددةً للواحدِ المُتَعالِي، يقول: «كيف يمكن أن يَعْبُدَ الإنسانُ الحقَّ المُتعالِيَ على التصنيفاتِ الإنسانيةِ كلِّها؟ الجواب هو أنَّ الإنسانَ لا يَعبد الحقَّ بذاتِه، وإنما يعبد أحدَ تجلِّياتِه التي ظهرت للإنسانية؛

أما «ثيوديسيا تكميل النفس Soul ـ Making Theodicy»، فهي من أفكاره الأثيرة الواردة في كتابنا هذا. يقول هيك بنظريةٍ للعدالة الإلهية تخالف ما عليه تقليدُ الأوغسطينيةِ واسعُ الانتشار. ثيوديسيا «تكميل النفس» ترى أنَّ الشرّ حادث في العالَم ومأذونٌ به إلهيًّا، لأن العالم إذا كان عليه أن يكون بيئةً تَكْمُلُ فيها نَفْسُ الإنسان، فلا بد أن يشتمل على شرور الآلام البَرَّانيَّة والمعاناة الجوانية. وما ذلك إلا لتهذيب النفس الإنسانية، وتكميلها، وصَقْلِهَا، ونقلها من طورِ الكمال الكامِن أو المُمكن إلى طورِ الكمال الإلهي المُحَقَّق (من الخلق على «الصورة» الإلهية إلى «الشَّبَه» المحدود بالله، كما يأتي تفصيلُه في ثنايا الكتاب). تكميل النفس، فيما يرى هيك، «عملية صيرورة إلى مُكمَّل يسعى اللهُ في خلقه. لا يتخذ هذا مكانَه... بواسطة تطور طبيعي ومُحتَّم، لكن عبر مغامرةٍ مُجَازِفة داخل الحرية الفردية... هذا [بمثابة] حَجٍّ pilgrimage داخليٍّ في كل فرد.»[1] وعلى هذا، فإن تكميلَ النفسِ رحلةٌ داخليةٌ باطنَ كلِّ إنسانٍ، رحلة ذاتيةٌ للترقِّي الروحي والأخلاقي والجمالي والوصول إلى الشَّبَه بالله. تدعيمًا لهذه الرؤية، قام هيك بجهد مُعْجِبٍ، حثيثٍ ومُضْنٍ على مدار كتابه.[2]

3. خِتَامُ مُتَوَسِّلٍ ورَجَاءٌ مُرْتَجًى

ضَرْبٌ من المُحَالِ أن تساويَ الترجمةُ في الأصالةِ أصالةَ العملِ الأصلي؛ وليس المعنى أنّ الترجمة تُفقِد العملَ أصالتَه، ولكنها تُرحِّله من وجوديّةٍ أصيلةٍ إلى وجوديَّة أصيلةٍ أخرى. ذلك أن الترجمة بجانب أنها عملية نَقْلٍ من سياق لغوي له مُسبقَاتُه وظروفُه الخاصة، فإنها

كالآب السماوي في تعاليم يسوع، أو اللهِ في القرآن، أو أدوناي יְהוָה (الرب أو السيد) في الحاخامية اليهودية، أو فيشنو विष्णु، أو شيفا शिव ....» (تأليف مشترك، *الخلاص المسيحي: اتجاهات أربعة في عالَم تَعدُّدي*. جون هيك، كلارك إتش. بينوك، أليستر إي. ماجراث، آر. دوجلاس جايفيت، أو. جاري فيليبس، ترجمة: ديما معلّم. بيروت ـ لبنان: دار المعارف الحكمية، ط1، 2015، فصل: 1، «جون هيك: نظرة تعددية»، بتصرف يسير، ص ص 83 ـ 84.) يقول هيك أيضًا: «إذا ولدتُ في الهند، لربما كنتُ هندوسيًّا؛ وإذا وُلِدتُ في مصر، لربما كنتُ مسلمًا؛ وإذا وُلدتُ في سريلانكا، لربما كنتُ بوذيًّا؛ لكني ولدتُ في إنجلترا، ولهذا، فمن المتوقَّع أن أكون مسيحيًّا... الظاهر أن هذه الأديان المختلفة تقول أشياء مختلفة ومتعارضة عن طبيعة الحقيقة المطلقة، وعن أنماط النشاط الإلهي، وعن طبيعة ومصير الجنس الإنساني.» (جون هيك، *فلسفة الدين*. ترجمة: طارق عسيلي. بيروت ـ لبنان: دار المعارف الحكمية، 2010، بتصرف يسير، ص ص 167 ـ 168.)

(1) Hick, *Evil and the God of Love*, op. cit., p. 256.

(2) لمزيد مطالعة حول نظريتَي هيك: «التعددية الدينية»، و«تكميل النفس»، انظر:
Paul Badham, *A John Hick Reader* (London: Macmillan Press Ltd, 1st ed., 1990), chap. 6: ‘An Irenaean Theodicy’, pp. 88 - 105 and chap. 10: ‘A Philosophy of Religious Pluralism’, pp. 161-177.

عمليةٌ مستمرةٌ من التأويل المُستنطِق للنص الأصلي. ولا ينفي هذا كونها مَظَنَّةً للخطأ والوهم، ولا سيما وأن النقصانَ الفِطْرِيَّ يُلازِم أعمالَ الإنسانِ مهما جَوَّدَ وأَتْقَنَ. هذا عُذري بين يديك إنْ وقفتَ، في العملية التأويليةِ، على بيانٍ لا يصحّ، أو فهمٍ سقيم، أو استنطاقِ ما لا يُستنطَق، أو تفسيرٍ مُرتبكٍ، أو إعرابٍ ليس بموفَّقٍ، أو إخلالٍ «بخواصِّ المَعَانِي في أَبْدَانِ الحقائق»[(1)]. أَضِفْ أني كثيرًا ما كنتُ أسيرُ وحدي في أراضٍ قاحلةٍ، وأركانٍ غير مُستكشَفَةٍ، وعلومٍ عسيرةٍ، وألفاظٍ غير مُطاوِعَة، وتعابيرَ مُجافِية، ومعارفَ عويصةٍ عميقةِ الغَوْرِ. «وكلما كانَ البابُ من العلمِ أعسرَ وأضيقَ، والعلماءُ به أقلّ؛ كان أشدَّ على المترجم، وأجدرَ أن يُخطئ فيه.»[(2)] ما أَحْمَدُ عليه اللهَ أن أكثرَ ما احتواه الكتابُ من علومٍ ومعارف؛ كان لي فيها يَدٌ تطول وتقصر؛ أو بَاعٌ مِقدارُه بمِقْدَارٍ، أو طلبٌ يعظم ويخسّ؛ أو معرفةٌ تعلو وتسفل؛ أو سماعٌ يتواتر وينقطع. ولعلَّ هذا بعض ما جَرَّأَنِي، وأقام في نفسي دعوى المُغامَرة.

اللغةُ المُترجَم عنها: الإنجليزيةُ؛ لغةٌ رشيقةٌ أعرفها وأحبها وأستسيغ نُطقَها والقراءةَ بها. واللغة المترجَم إليها: العربيةُ؛ لغةٌ شاعرةٌ مُكَوِّنَة، عشقي ومَوْئِلي منذ الزمان الأول. ما كان ما كان إلا وحاولتُ أن أنطقَ إنجليزيةً بعربيةٍ، فألقيتُ قميصَ يوسف على يعقوبِ المَعْنَى، وخلعتُ بُردَةً عربيةً على كِيَانٍ إنجليزيٍّ، فاستُبْدِلَتْ حُلَّةٌ بحُلَّةٍ، وقميصٌ بقميصٍ. توسَّلتُ القِدَمَ بالحدوث، والحدوثَ بالقِدَم؛ والتراثيةَ بالحداثيَّة، والحداثيةَ بالتراثية؛ والنثريةَ بالشعريةِ، والشعريةَ بالنثريةِ حتى انتظم الكلامُ على ما انتظم، وانتهى إلى مُنتهاه ومُنتهاي. لَعجب هو نُطقي لغةً بلغةٍ، وقولًا عن قولٍ؛ وجرياني على منوالٍ بمنوالٍ؛ ومُتابعتي طريقةً على طريقةٍ. ولا أحسب إلا أني ما كنتُ ناطقًا في كلٍّ إلا بعربيةٍ تأصَّلتْ داخلي، واندفن معناها في كوامنِ مَنْطُوقي: «كُلُّ متكلم يُعبر باللغات الأجنبية: ينطلق من لغته التي يمكن التعرُّف عليها في نبرةٍ شاذّةٍ أو لفظٍ أو تركيبٍ، وفي النَّظْرَةِ وقَسَمَاتِ الوَجْهِ أيضًا (أَجَل، لِلُّغَةِ وَجْهٌ)... أعرف اللغاتِ جميعًا، لكن بالعربية...»[(3)]

---

(1) أبو حيان التوحيدي، *المقابسات*. تحقيق وشرح: حسن السندوبي (القاهرة ـ مصر: المطبعة الرحمانية، ط1، 1929)، مقابسة: 63، ص 258.

(2) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، *الحيوان*. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون (القاهرة ـ مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1965)، ج1، ص 77. وللجاحظ كلام نفيس في الترجمة والمترجم، وشروط قاسية لا بد للقائم بالترجمة التحقق بها، ونظريّةٌ ترجميَّةٌ لعلَّها الأقدمُ. ولي عليها نقدٌ وكلام كثير ليس هذا موضعه. (انظر: المرجع آنف الذكر، ج1، ص ص 75 ـ 79.)

(3) عبد الفتاح كيليطو، *أتكلم جميع اللغات لكن بالعربية*. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي (الدار البيضاء ـ المغرب: دار توبقال للنشر، ط1، 2013)، بتصرف، ص 29.

وأخيرًا، هذا عملي بين عينيك، فلا تُسارِع عليّ بتخطئةٍ أو تجهيلٍ. إن أحسنتُ؛ كان بها، وإن أسأتُ، فابسط لي العُذْرَ إِثْر أَخِيهِ. ذلك أنه «لا بد في كل علمٍ وعَمَلٍ من بقايا لا يقدر الإنسانُ عليها، وخفايا لا يهتدي أحدٌ من البشر إليها؛ وذلك للعجز الموروث عن الهُيُولَى، والضعفِ الثابتِ في الطينة الأُولَى؛ وهذا لكي يكون اللهُ تعالى مَلَاذًا للخلق وَمَعَاذًا للعالَم.»[1]

أَتَـيْـتُ مَـا أَسْـتَـحِـقُّ مِـنْ خَـطَـأٍ   فَـعُـدْ لِـمَـا تَـسْـتَـحِـقُّ مِـنْ حَـسَـنِ[2]

عبد العاطي محمد طلبة
٢٠٢٥/٤/٢٦

(1) التوحيدي، *المقابسات*. مرجع سابق، مقابسة: 63، ص 258.

(2) علي بن الجهم، *ديوان علي بن الجهم*. تحقيق: خليل مردم بك (بيروت ـ لبنان: دار الآفاق الجديدة، ط2، 1980)، قافية: ن، ص 189.

مراجع المُفْتَتَح

1. مراجع عربية

- إبراهيم، زكريا، *تأملات وجودية*. بيروت ـ لبنان: منشورات دار الآداب، ط1، 1962.
- ابن الجهم، علي، ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بك، بيروت ـ لبنان: دار الآفاق الجديدة، ط2، 1980.
- ابن زيدون، *ديوان ابن زيدون*. شرح: يوسف فرحات، بيروت ـ لبنان: دار الكتاب العربي، ط2، 1994.
- بول إي. كريساك، *نقد التعددية الدينية عند جون هيك*، ترجمة: فراس سلوادى. إشراف وتقديم: سعيد فودة. عَمَّان ـ الأردن: دار الأَصْلَيْنِ للدراسات والنشر، ط1، 2017.
- تأليف مشترك، *الخلاص المسيحي: اتجاهات أربعة في عالَم تَعدُّدي*. جون هيك، كلارك إتش. بينوك، أليستر إي. ماجراث، آر. دوجلاس جايفيت، أُو. جاري فيليبس، ترجمة: ديما معلّم، بيروت لبنان: دار المعارف الحكمية، ط1، 2015.
- التوحيدي، أبو حيان، *الإشارات الإلهية*. تحقيق: عبد الرحمن بدوي. القاهرة ـ مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996.

______ *المقابسات*. تحقيق وشرح: حسن السندوبي، القاهرة ـ مصر: المطبعة الرحمانية، ط1، 1929.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، *الحيوان*. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة ـ مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1965.
- حنا، هاني، *فلسفة الدين المسيحي*. منصورية ـ لبنان: دار منهل الحياة، ط1، 2023.
- الرفاعي، عبد الجبار، *الدين والاغتراب الميتافيزيقي*. بغداد ـ العراق: مركز دراسات فلسفة الدين، بيروت ـ لبنان: دار الرفدين، ط3، 2022.
- سروش، عبد الكريم، *الصراطات المستقيمة ـ قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية*. ترجمة: أحمد القبانجي، بيروت ـ لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2009.

- عمر، ابن الفارض، *ديوان ابن الفارض*، بيروت ـ لبنان: دار صادر، بدون تاريخ.
- قانصو، وجيه، *التعددية الدينية في فلسفة جون هيك: المرتكزات المعرفية واللاهوتية*. بيروت لبنان: المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان: الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، ط1، 2007.
- كيليطو، عبد الفتاح، *أتكلم جميع اللغات لكن بالعربية*. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، الدار البيضاء ـ المغرب: دار توبقال للنشر، ط1، 2013.
- ماجراث، إليستر إي.، *اللاهوت التاريخي: مقدمة لتاريخ الفكر المسيحي*. منصورية ـ لبنان: دار منهل الحياة، ط1، 2022.
- المتنبي، أبو الطيب، *ديوان المتنبي*. القاهرة ـ مصر: القدس للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
- الهاشمي، أحمد، *جواهر الإملاء: المفرد العلم في رسم القلم*. قدم له وضبط نصه: محمد التونجي، بيروت ـ لبنان: شركة دار مكتبة المعارف ـ ناشرون، ط2، 2017.
- هيك، جون، *فلسفة الدين*. ترجمة: طارق عسيلي، بيروت ـ لبنان: دار المعارف الحكمية، ط1، 2010.

2. مراجع أجنبية

- Badham, Paul, *A John Hick Reader*, London: Macmillan Press Ltd, 1st ed., 1990.
- Hick, John, *An Autobiography*, Oxford: One World Publications, 2002.
- Hick, John, *Evil and the God of Love*, London: Palgrave Macmillan, 5th ed., 2010.

3. دوريات وصحف

- بريرلي Brierley، جَسْتِن Justin، «مقابلة جون هيك John Hick وكريس سينكينسون Chris Sinkinson: حقيقة واحدة أم عدة حقائق؟»، ترجمة: آلاء فوزي النجار، *مؤمنون بلا حدود*. بتصرف يسير، 26/4/2025، https://2u.pw/GdfJf، 29/2/2020.
- طلبة، عبد العاطي، «منهجية المقارنة في معالجة جون هيك لمشكلة الشر وتطبيقاتها العملية (بحث محكم)»، مراجعة: وفاء عبد الحليم، مؤمنون بلا حدود. 24/3/2025، 2/4/2025، https://2u.pw/NKb2u.
- محمد، أنمار، «الفيلسوف جون هيك: حياته وأهم أفكاره اللاهوتية ـ عرض وتحليل»، *مجلة كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية*. عدد: 1، 2020.

تصدير[1]

{وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ}.[2]

{وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ.}[3]

«حُبُّ اللهِ... يجعلنا نتذوَّق شيئًا من السَّعادةِ المُقْبِلَةِ. وهذا الحبَّ رغم كونِه مُجرَّدًا من كلِّ فائدةٍ، إلا أَنَّه يُسَبِّب خيرَنا الأَسْمَى، ومَنْفَعَتَنَا... يُعْطِينَا ثقةً تامَّة بوجود خالِقِنَا ومَوْلَانَا. هذا الجُودُ يُحدِثُ فينا راحةً تامَّةً للنفْس... بواسطة قناعةٍ مؤقتةٍ تضمن لنا سعادةً مُقْبِلَةً... حُبُّ الله يملأ آمَالَنَا أيضًا، ويقودُنا على دَرْبٍ من السَّعادةِ السَّامِيةِ.»[4]

إِذَا ذَكَـرْتُـكَ؛ كَـادَ الـشَّـوْقُ يُتْلِفُنِي، وَغَـفْـلَـتِـي عَـنْـكَ: أَحْـــزَانٌ وَأَوْجَـــاعُ

...

فَـإِنْ نَـطَـقْـتُ، فَـكُـلِّـي فِـيـكَ أَلْـسِـنَـةٌ؛ وَإِنْ سَـمِـعْـتُ، فَكُلِّي فِـيـكَ أَسْـمَـاعُ[5]

«كُلُّ ديانةٍ تحرص على إنتاج الحُبِّ، وتُعلنُه بوصفه الهدفَ الذي تسعى لتحقيقِه في الحياةِ، ويُجسِّده أتباعُها في سلوكهم؛ تتلهفُ القلوب للانتماءِ إليها، ويتَأَبَّدُ حضورُها في الحياة. وكل ديانةٍ تحرص على إنتاج الحرب والانشغال بصراعاتِ السلطة والثروة؛ تنفر القلوبُ منها ومن أتباعها. ما يربحُه كلُّ دينٍ رسالتُه الحبُّ يخسره كلُّ دين رسالتُه الحربُ.»[6]

---

(1) التصدير من عَمَل المترجم.

(2) 1 يو 4: 8

(3) البقرة: 165.

(4) جوتفريد فيلهلم ليبنتز، *المونادولوجيا أو مبادئ الفلسفة*. ترجمة: ألبير نصري نادر (بيروت ـ لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2015)، «المبادئ العقلية للطبيعة والنعمة»: 18، بتصرف يسير، ص 102.

(5) كامل مصطفى الشيبي، شرح *ديوان الحلاج* (بيروت ـ لبنان؛ بغداد ـ العراق: منشورات الجمل، ط2، 2012) قافية: ع، ص 260.

(6) عبد الجبار الرفاعي، *الدين والكرامة الإنسانية* (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2024)، فصل: 2، «الحب والأضداد في الطبيعة البشرية»، باب: 7، «سر الحب أنه لا يتحقق إلا بالحب»، ص ص 130 ـ 131.